

الحلال والحرام في وجه المتمردين • لقد كان حسان معرضاً لأن يضرب علقه ساخنة ، أو يتهم بسرقة المحراث الخشب • كما كان يحدث لصالح وأقرانه ، ومعرضاً لأن تهجم عليه الذئاب ناهشة لحمه ، كما حدث لأبي ذراع • في « الليل •• الرحم » الذي تذكر شعاره وهو بين الحياة والموت ، وندم على عودته لفلاحة الأرض : « معلهش •• جزاة اللي يعيش نجعة بين الديابة » • والمقارنة بين ابن الليل « الثائب » وابن الليل « الفار » تجعلنا لا نعد موقف هذا الأخير قراراً ، وإنما استمرار في البحث عن طريق • لكن هذا الرحيل بصيبننا – في نفس الوقت – بجراح تخينة حين نتأمل مأساة نجية •

لقد استطاع الشاعر الشعبي المجهول أن يحيل « القرية » إلى بطن منتفخ لامرأة حبلى حينما تساءل عن حكم الشرع • واستطاع محمد روميث وهو يحاول تفسير الموالم أن ينتقل من المستوى الواقعي إلى المستوى الإشاري فاستحالت المرأة إلى رمز للأرض كلها سواء في القصة أو الموالم • هذه الأرض التي تتوق توقاً للعطاء ، لكنها مازالت تبحث عن الرجل • الرجل الذين يضعون في باطنها بذرة الحياة •

ولا يصادفنا هذا التلاقى بين المرأة الأرض في هذا العمل وحده • ففي : « الليل •• الرحم » يحرث عم الوهيدى الأرض البكر التي تركها آباؤه بلا زراعة لرعى الجاموس الأعرج والبقر الناشف • وحين يشق سلاح المحراث سطح الأرض ، و « قبل أن تندمل شفرتا الخط المشقوق ، يسقط وسطه سرسوب منتظم من حبات الذرة فيلتئم عليها – كالرحم – يتهباً لميلاد جديد » • وإذا كانت الأرض هنا هي « الرحم » ، فإن المرأة في « كل شيء حقيقة » هي « الأرض » والقربة في الموالم هي بطن المرأة وبطن الأرض • هي المرأة الأرض • وصاحب الحق الشرعي في « المولود » يتركها فراراً بجلده من وجه الطغاة • وهذا الموقف ، وإن اعتبر تمرداً على الظلم ، فهو يحمل في داخله أسباب ادانته • والأسباب جميعها تتركز في « الهروب » لا « الثورة » •

ولا يبعد هذا التفسير عن طبيعة عقلية روميث • فكثيراً ما استفاد من المفاهيم السياسية وهو يرسم شخصياته أو يصور مواقفه • وقد لاحظنا ذلك بالنسبة لعدم تعلق متمرديه بالأرض هذا التعلق الواله الذي يميز فلاحيه • كذلك فإن العمدة في قرينته قوم غرباء عنها كالمستعمرين • نشأوا فيها « كالنبيات الشيطانية » ثم تمكنوا من امتلاك معظم أراضيها بالطرق غير المشروعة كآسرة السوالم في : « الليل •• الرحم » التي كادت تسيطر على زمام القرية كله حتى أصبح أهلها خدماً في دورها ، أو أنفارا